فوق الأنقاض

تناهى إلى مسامعي صوت قهقهات أطفالي وهم يلعبون في شرفة البيت وشممت عطر حبيبتي يداعب أنفاسي، أحسست بقبلات أمي على جبيني تدعو لي برضواني، صوت ترتيل أبي لكتاب ربي.

فجأة أفقت من سباتي، كل شيء كان سراباً في مخيلتي...أين أمي؟ أين أبي؟ أين حبيبتي وأطفالي؟ أصبح طيفهم يحلّق في الأرجاء.

دفنتهم بيدي وردمت فوقهم تراب بلادي، تلطخ ثوبي بدماء أحبابي، كل شيء صار خراباً ودماراً من حولي... لم أعد أشتم إلا رائحة بارود البراميل المتفجرة فوق أنقاض بيتي... هنا ألعاب أطفالي ممزقة يكسوها التراب، وصندوق خشبي يخص زوجتي كانت تضع فيه عطرها الذكي، وحذاء أبي الذي اشتريته له بالأمس لم يكسُ قدميه فقدماه الآن تخطو فوق أراضي الجنان... أخذت رداء أمي وفرشته فوق أرضي وتيممت

بحجر أنقاض بيتي ثم توجهت إلى الرحمن أشكو له حالي، سجدت متمنياً أن يقبض الله روحي لتطير بعيداً تعانق أطياف أحبابي... سوف أخبر الله بكل شيء أيها العرب أيها المسلمون يا من خذلتموني... نزلت دموعي وصارت طيناً تحت جبيني واختلطت بتراب أرضي و دماء أهلي... رباه وكلت لك أمري وضعف حالي، أشكو لك يأسي وأحزاني، أنا الضعيف وأنت الغني الهي، أرزقني صبراً يا رحمن يا عزيز فؤادي، صبراً أداوي به أحزاني، اللّٰهُمَّ أحسن خاتمتي وارزقني الجنان بجانب أهلي قرة عيني.

أنهيت صلاتي، مسحت دموعي، ما خلقني ربي لكي أموت في أول العثرات، هدموا بيتي وقتلوا أطفالي، زوجتي، أمي وأبي، خنقوا آمالي لكني مازلت واقفاً فوق تراب أرض القدس بلادي....

شق صدره وأخرج قلبه من بين ضلوعه ثم غرسه تحت تراب القدس بلاده، تدفقت دماؤه وسالت داخل شرايين أرضه واختلطت بدماء أهله وأجداده

الطاهرة، سقى نبتته الفتية بمياه دمعه وعرقه، أنبتت العروق وتشعبت ثم أذكت دماء الأجداد، دماء الحفيد تستنهض همته للثأر لهم وله ولوطنه المسلوب المغتصب فأينع قلبه وأثمر قلوب ثوار يحملون بين ضلوعهم وفي أفئدتهم القضية يرهبون عدو الله وعدوهم ثورة حتى النصر المبين!

****